مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 31، جوان 2022، ص - ص: 257 – 274
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

مقاربة مفهومية لمصطلح الجهاد بين الدعوة إلى الدين وإظهار الدين

A conceptual approach to the term jihad between the call to religion and showing religion

د/ عبد الباسط دردور
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1
abdelbasset.derdour@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2022/04/06 تاريخ القبول: 2022/06/05

الملخص:
تسعى هذه الدراسة إلى طرح مقاربة مفهومية لمصطلح الجهاد من منظور دعوي، في سياق علاقته الدلالية بمصطلحي الدعوة إلى الدين وإظهار الدين، من خلال الاسترشاد بالسياق القرآني والنبوي لمصطلحي الجهاد والدعوة، وما صاحب ذلك من تراث تفسيري وتاريخي.
وذلك للكشف عن مدى قصور وسلبية التوظيف الميداني لبعض الممارسات الإسلامية قديما وحديثا لمصطلح الجهاد وحصره في صورته القتالية الضيقة،
لذلك تم تناول كلا المصطلحين الجهاد والدعوة في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني، مع التفريق بين مصطلحي "الدعوة إلى الدين" و "إظهار الدين" للوصول إلى نتيجة أن الجهاد بأنواعه وطيد الصلة بنشر كلمة التوحيد، وأن الدعوة تدور حول بذل الجهد والصبر في سبيل نشر الدعوة إلى الله.
الكلمات المفتاحية: الجهاد؛ الدعوة؛ الدعوة إلى الدين؛ إظهار الدين.

Abstract:
This study seeks to present a conceptual approach to the term of ‘‘jihad’’ from an advocacy perspective, in the context of its semantic relationship with the terms “calling to religion” and “showing religion.” guided by the Qur’anic and prophetic contexts for the terms ‘jihad’ and ‘‘call’’, and the accompanying explanatory and historical heritage.
This is to reveal the extent of the shortcomings and negative field use of some Islamic practices, past and present, of the term ‘‘jihad’’ and limiting it to its narrow combative form.
Therefore, both terms ‘‘jihad’’ and ‘‘call’’ were dealt with in the language, terminology and usage of the Qur’an, with a distinction between the terms “calling to religion” and “showing religion” to reach the conclusion that ‘‘jihad’’ in all its forms is closely related to spreading the word of monotheism, and that ‘‘call’’ revolves around exerting effort and patience in order to spread the call to Allah.
Key words: jihad; call; call to religion; Showing religion.

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة مفهوم الجهاد من منظور دعوي، في سياق علاقته الدلالية بمصطلحي الدعوة إلى الدين وإظهار الدين. وذلك في ظل التوظيف القاصر والسلبي لمصطلح الجهاد وحصره في صورته القتالية الضيقة، التي تعدّ في الأصل استثناء خاصا ومؤقتا ومعلقا بشروط وضوابط دقيقة.

وهذا ما تؤكده نصوص الوحي قرآنا وسنة، والفهم التفسيري الموروث في أدبيات الفكر الإسلامي الأصيل، خلافا تماما لكثير من الممارسات المحرفة عبر تاريخنا القديم والمعاصر، التي قامت بنسخ وتعطيل مفهوم الجهاد باسم الدعوة أو العكس، وغيرهما من الرؤى والاجتهادات.

وهذا ما يقودنا إلى تناول كلا المصطلحين الجهاد والدعوة في اللغة والاصطلاح وكذلك في التناول القرآني، ولكي تكون الصورة أكثر وضوحا، لا بد أيضا من التفريق بين كل من مصطلح "الدعوة إلى الدين" ومصطلح "إظهار الدين" ومنه الوصول إلى نتيجة أنّ الجهاد بأنواعه وطيد الصلة بنشر كلمة التوحيد، وأن الدعوة تدور حول بذل الجهد والصبر في سبيل نشر الدعوة إلى الله.

ولعل هذه الدراسة تكون محفزا للباحثين والدارسين لتناول هذا الموضوع بالمناقشة والإثراء، ومراجعة وتقييم الفكر الجهادي والدعوي وتطبيقاتهما عبر مراحل التاريخ الإسلامي.

أولا: تداعيات تشابك مصطلحي الجهاد والدعوة على الواقع الفكري

إنّ الناظر في دلالات نصوص الوحي قرآنا وسنة، يرى نوعا من التداخل بين المصطلحين "الدعوة" و"الجهاد". فإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه ﷺ بدعوة الناس إلى دين الله، حينا بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ (النحل: 125)، فإنه تعالى يطلب إليه في الحين ذاته أن يجاهد المرسل إليهم جهادا كبيرا: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 52).

ترى ماذا كانت مهمة النبي ﷺ أهي الجهاد أم الدعوة؟ أم كلاهما معا؟ أم أن هناك درجة من الترادف بين هاتين اللفظتين بحيث يجوز إطلاق إحداهما محل الأخرى؟

إنّ هذا التشابك والتداخل المفهومي والنصوصي والتاريخي قد قاد الكثير من المسلمين بل وحتى المفكرين منهم إلى اتخاذ مواقف بعيدة عن الصواب تجاه كلا المصطلحين؛

- فقد ذهب بعضهم بسبب عدم وضوح الرؤية التوفيقية بينهما إلى نسخ الدعوة وما يرافقها من معاملات العفو والصفح والصبر على أذى غير المسلمين "المدعوين"[1].
- والبعض الآخر قالوا بنسخ الجهاد وما يرافقه من البذل والعطاء في سبيل الله[2].
- والبعض الثالث رأوا أن بين المصطلحين طلاقا بائنا لا يتلاقيان أبدا[3].

وقد سبّبت هذه المواقف المتباينة في اختلال الموازين في محيط من يدّعون التزام هذا المصطلح أو ذاك. لذلك يجب تناول الموضوع تناولا مقارنا من حيث الدلالات والوظائف حتى يزول الغموض وتتبين الحقيقة في نطاق كلا المصطلحين[4].

وقد جرّ هذا التشابك الكثير من تيارات وجهود الدعوة إلى الانكفاء على الذات والوقوع في تآكل داخلي وتهالك ذاتي بعيدا عن الأهداف والمقاصد والغايات السامية لقيم الإسلام ومفاهيمه في هذا السياق، وصارت "الدعوة التي يفهمها ويمارسها أكثر الجماعات الإسلامية اليوم ليست أكثر من أنشطة تدور حصرا بين أفرادها أنفسهم"[5].

ذلك ما أنتج ثقافة تيهان وانعزال وقطيعة بين تيارات الدعوة فيما بينها من جهة، وبينها وبين المجتمع والسلطة وبقية الفعاليات الثقافية والفكرية في الساحة الاجتماعية والإنسانية.

ثانيا: الجهاد والدعوة بين اللغة والاصطلاح

إنّ التأسيس التصوري السليم للعلاقة المفهومية بين الجهاد والدعوة تقتضي الانطلاق من مقاربة المنطق اللغوي والاصطلاحي لكلا المصطلحين في شكل تقابلي.

1 - الجهاد والدعوة في المعجم اللغوي

أ- الجهاد في اللغة: فالجهاد في اللغة يعني: "المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء"[6]، جهد "الرجل في كذا أي جد فيه وبالغ"[7]، فيكون استخدام مادة (ج هـ د) في تلك المواضع التي تستفرغ فيها الجهود تجاه شيء ما.

يقول تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (فاطر: 42) أي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيها[8].

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: 8) أي وإن بذل كل ما في وسعهما لإخراجك من الإيمان وحملك على الشرك[9].

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ والذين لا يجدون إلا جهدهم "قال الفراء: "الجهد في هذه الآية الطاقة، تقول هذا جهدي أي طاقتي"[10].

وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجِهادا والاجتهاد والتجاهد بذل الوسع والمجهود[11]. واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة في العبادة يقال جهدت رأيي وأجهدت: أتعبته بالفكر والجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو[12].

من هذا التحليل اللغوي السريع للفظ الجهاد يتبين تمحور دلالاته حول معاني الاجتهاد والمبالغة واستفراغ الجهد والوسع وبذل الطاقة وتحمل المشقة والتعب في أداء أمر من الأمور.

ب- الدعوة في اللغة: دعا بالشيء دعا دعوا، و دعوة ودعاء ودعوى: طلب إحضاره يقال: دعا بالكتاب، و دعا إلى الشيء: حثه على قصده[13]. وجاء في المصباح المنير: دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير ودعوت زيدا: ناديته[14].

وبالنظر في هذه التعاريف يتبين أن الدعوة لغة تطلق ويراد بها: النداء والطلب والسؤال، وغيرها من المعاني الأخرى كالعبادة، والتسمية، والنسب والإلحاق، والطلب للطعام، والحث على فعل الشيء، والهاء للمبالغة (داعيه).

وجاء في لسان العرب لابن منظور: دعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه. والاسم: الدعوة ودعوت فلانا: أي صحت به واستدعيته. دعو: النداء. ويشرح قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: 46) معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه". "والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داعٍ، ورجل داعيةٌ إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين.."[15]؛ فالدعوة على حد رأي ابن منظور تتضمن **احتمالين**: إما الدعوة إلى **بيعة هدى**، وإما إلى **بيعة ضلالة**. والمدلول القرآني لـ: الدعوة شمل كلا المعنيين كما يأتي.

وبالمقارنة بين التحليل اللغوي لمصطلحي الدعوة والجهاد، يتجلى لنا أنّ الدعوة تعبر عن الفعل المؤدى ذاته وهو الطلب والسؤال والنداء لأمر ما، أما الجهاد فينشغل بجانب الطاقة اللازمة لأداء ذلك الأمر، فكلاهما يقصد للوصول لنفس النتيجة.

2 - الجهاد والدعوة في التداول الاصطلاحي

بعد المعجم اللغوي، يقتضي السياق العلمي للدراسة الانتقال إلى الاستعمال والتناول الاصطلاحي للمصطلحين في الممارسة الفكرية الإسلامية، لتبين مدى العلاقة بين الدعوة والجهاد.

أ- الجهاد في الاصطلاح: عرّف الجهاد في الاصطلاح أنه: استفراغ الوسع في طلب العدو وهو ثلاثة: جهاد العدو الظاهر، وجهاد الشيطان، وجهاد النفس[16]، وعرّفه بعضهم بأنّه: بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الدين الحق[17]. وعرّف أيضا بأنّه: الصبر على الشدة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس. أما الجرجاني في كتابه التعريفات قال: الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق[18].

ويرى البوطي أن "تعريف الناس بالإسلام ودعوتهم إليه بالحوار والإقناع هو منطق الجهاد الإسلامي وأساسه ومصدر تفرعاته وأنواعه"[19].

ورغم قصر الكثير من التعريفات لجهاد على قتال العدو، إلا أن الجهاد بمعناه العام "يشمل الدين كله، حيث تتسع مساحته فتشمل الحياة كلها بسائر مجالاتها ونواحيها"[20].

يقول ابن تيمية: "الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان"[21].

وأشار الكفوي إلى معنى اصطلاحي دقيق يربط الجهاد بالدعوة ثم بالقتال، حيث قال: "الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق، والقتال مع من لا يقبله"[22]، وإن كان أصاب في الشق الأول، فإن الجهاد في صورته القتالية شرع في الإسلام مع من يمنع الدعوة إلى الحق لا مع كل من لا قبل ذلك.

وإذا كان الخلط بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة هو أثر من آثار سوء الفهم للإسلام، أو سوء النية في تصوير الإسلام ، فإن هناك خطأ آخر يقع فيه الذين يختزلون الجهاد الإسلامي في القتال الذي تحدث عنه القرآن الكريم ومارسه المسلمون في عصر النبوة وعلى امتداد تاريخ الإسلام .ذلك أن الجهاد الإسلامي الذي هو فريضة إسلامية أعم من القتال الذي شرعه الإسلام ، فكل قتال جهاد وليس كل جهاد قتالا ، إذ القتال هو الجانب العنيف من الجهاد وليس كل الجهاد .إن الجهاد في اللغة : (استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل)، فهو لا يقف عند (الفعل) فضلا عن أن يكون هذا الفعل فقط هو (الفعل العنيف) (الحرب) دون سواه ، والجهاد في اصطلاح القرآن الكريم: (بذل الوسع في المدافعة والمغالبة)، في كل ميادين المدافعة والمغالبة ، أي في كل ميادين الحياة، وليس فقط في ميادين القتال، وأكثر ما ورد الجهاد القرآن الكريم كما ذكرنا سابقا : ورد مرادا به بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها؛ وسبيل الدعوة الإسلامية هو الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، وليس بالقتال والإكراه والحرب الدينية المقدسة ، فميادين الجهاد الإسلامي - الأكبر والأغلب والأعظم - هي عوالم الأفكار والحوار.

فبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهد في ميادين العلم والتعلم والتعليم هو جهاد ، وبذل الجهد والطاقة في عمران الأرض نهوضا بأمانة الاستخلاف الإلهي للإنسان هو جهاد، بل إن الرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد - الطبيعة - هو جهاد، وكذلك البر والإحسان إلى الوالدين والأقربين وأولي الأرحام هو جهاد ، كما أن الخشية لله ومراقبته وتقواه والتبتل إليه هي قمة من قمم الجهاد الذي فرضه الإسلام، والكلمة الصادقة جهاد؛ بل لقد جعلت السنة النبوية أفعال القلوب ميدانا من ميادين الجهاد الإسلامي - ليس فقط باليد واللسان - فيما رواه الإمام مسلم: (فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن)؛ ومن ذلك حراسة الوطن والمرابطة على الثغور هي جهاد يكون أصحابها أول من يدخل الجنة من خلق الله، كذلك جعلت السنة النبوية الحج إلى بيت الله الحرام - وفيه التجرد من الدنيا وقوتها وزينتها - والتعايش السلمي حتى مع الحيوان وكل أنواع الأحياء والنباتات، جعلته السنة ميدانا من ميادين الجهاد الإسلامي[23].

تلك هي حقيقة الجهاد الذي هو بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة في أي ميدان من ميادين الجهاد على امتداد هذه الميادين واتساعها وتنوعها، وليس فقط هو القتال، فضلا عن أن يكون الحرب الدينية المقدسة. ولهذه الحقيقة كان الجهاد الإسلامي فريضة لازمة على كل مسلم ومسلمة، لأنه مستطاع لكل المكلفين وفق القدرات التي امتلكها ويمتلكها هؤلاء المكلفون، وفي أي ميدان يستطيع المكلف أن يبذل جهده فيه بسائر ميادين العبادات والمعاملات، بينما كان القتال الذي هو شعبة من شعب الجهاد مشروطا بشروط، وله ميادين محددة، ضبطها القرآن الكريم في الآيات التي تحدثت عن القتال؛ تلك هي حقيقة الجهاد الذي فرضه الله وجعله ذروة سنام الإسلام، والذي جاهده المسلمون - ولا يزالون - على امتداد تاريخ الإسلام،

والذي يكون جهادا كبيرا عندما يكون فقها ووعيا وحوارا بالحكمة والموعظة الحسنة انطلاقا من القرآن الكريم: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 52).

ب- الدعوة في الاصطلاح: تناول الكثير من العلماء والباحثين والمفكرين والدعاة مصطلح الدعوة بتعريفات شتى متباينة ومختلفة؛ فقد عرفت الدعوة بطلب الدخول في دين الإسلام اعتقادا وقولا وعملا ظاهرا وباطنا[24]. وهي كذلك قيام المسلمين المؤهلين بتبليغ الناس كافة وحثهم على اتباع الإسلام[25]. ونقل الأمة من محيط إلى محيط. والدعوة عملية إحياء لنظام ما لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط.

وهي برنامج كامل يضم جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم. وهي صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضا ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها أو معصية كادت تحدق بهم...[26].

وهناك من نظر إليها على أنها ضوابط كاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات. بحث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل.[27]

أما الأستاذ فتحي يكن فقد اتخذ منحا آخر في التعريف باعتبار الدعوة حركة هدم وبناء: (فالإسلام دعوة - هدم وبناء- هدم الجاهلية بكل صورها وأشكالها...، سواء أكانت جاهلية أفكار أم جاهلية أخلاق، أم جاهلية نظم وتشاريع..، ومن ثم بناء المجتمع على (قواعد الإسلام) في شكله ومحتواه..، في مظهره وجوهره..، في نظام حكمه.. وأسلوب عيشه...، في تطلعه (العقيدي) للكون والإنسان والحياة)[28].

وعندما ذكر البيانوني في كتابه [علم الدعوة] جزء من اختلافات وتعدد تعريفات الدعوة لدى الكتاب والباحثين، قال أنه لم يقف على تعريف سابق دقيق وشامل لحقيقة هذا العلم، ورأى أن التعريف الأشمل للدعوة الإسلامية اصطلاحا يشمل مراحل الدعوة الثلاث التبليغية والتكوينية والتنفيذية إذ يقول: ((تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة))[29].

ولعل من أشهر المحاولات لصياغة تعريف للدعوة في الفكر الإسلامي المعاصر تعريفان:

- تعريف كل من سيد محمد سيد بأنها: (هي الجانب التبشيري بالعقيدة، وهي تكاد توازي مفهوم الإعلام بالإسلام والتعريف به)[30].
- وتعريف الداعية والمفكر الجزائري الطيب برغوث الذي وظف في تعريفه للمصطلح جملة المقاربات اللغوية والتعاريف الاصطلاحية السابقة، وتأمل النصوص القرآنية ومقاصد الشريعة الإسلامية بقوله: (ذلك الجهد المنهجي المنظم الهادف إلى تعريف الناس بحقيقة الإسلام، وإحداث تغيير جذري متوازن في حياتهم على طريق الوفاء بواجبات الاستخلاف، ابتغاء مرضاة الله تعالى، والفوز بما ادخره لعباده الصالحين في عالم الآخرة)[31].

ومما سبق يتجلى لنا اختلاف الباحثين في تعريفاتهم للدعوة، ومرد ذلك تعدد وتباين تصوراتهم وتوجهاتهم المعرفية لمظان الدعوة ذاتها من حيث أهميتها ودورها في الواقع المعيش.

علما أن أغلب هذه التعريفات حبيسة جانب معين من جوانب الدعوة، من حيث مفهومها وأهدافها ووسائلها وغاياتها، ومنهم من قصرها على مجرد البلاغ دون استتباعها بالجانب التطبيقي. أضف إلى أن تعدد هذه التعريفات يحتاج إلى شرح وتوضيح، وفي مجملها أيضا تتناقض مع مبدأ شرط التعريفات العلمية التي يجب أن تكون جامعة مانعة، وهو ما نفتقده في غالب التعريفات لمصطلح الدعوة في أدبيات الذين كتبوا في مجال الفكر والدعوة. ولا شك أن جلّ تلك التعريفات التي مرّت يغيب عنها محور أساسي في الفهم الشامل للمصطلح وهو البعد الأخروي وهو قصد النجاة في الآخرة والتي دلّت عليها نصوص الوحي.

ونفس الأمر يقال بالنسبة لمصطلح الجهاد، الذي تعرض هو الآخر لسوء الضبط والتحقيق، وحرّف عن دلالاته ومساره السليم، وحصر في جانبه القتالي المادي، الذي قرنه في الأذهان بالعنف والإرهاب، وغيّب عنه قيم التسامح والتعايش والدعوة إلى الدين الحق، والتي تمثل مقصده الأساس، المؤدي لغاياته السامية؛ إرضاء الله عز وجل وابتغاء جنته.

ثالثا ـ الجهاد والدعوة في الاستعمال القرآني والتفسيري

إذا كان الضبط اللغوي للعلاقة الدلالية بين الدعوة والجهاد قارب بينهما مفهوميا، إلا أن التوظيف الاصطلاحي شعّب وعقّد العلاقة بينهما، وصنع هوة وهمية بين المصطلحين، فربطت الدعوة بالتبليغ اللساني، وقرن الجهاد بالقتال المادي، لذلك يأتي الاستعمال السياقي للمصطلحين في نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة

1- الجهاد في الاستعمال القرآني: وردت مادة جهد في القرآن واحدا وأربعين مرة، والمتعلق منها بالجهاد خمس وثلاثون مرة، بصيغ مختلفة؛ اسمية ومصدرية وفعلية يمكن الرجوع إليها في مظانها[32].

وبالرجوع لدلالات الجهاد في السياقات القرآنية نجده يتعلق بثلاثة أنوع:

أ- النوع الأول: يتعلق ببذل الوسع في الدعوة إلى الله

على ضوء الإطلاقات والاستخدامات القرآنية لو تلونا الآية المكية التالية: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 52)، فإننا نفهم بكل وضوح بأن المقصود بالجهاد في هذه الآية هو استفراغ الوسع وغاية الجهد في تبليغ رسالة القرآن وسط المشركين والكافرين بمقارعة قلوبهم بآياته البينات وحججه القاطعات بالغا بهذا الجهاد الكبير بالقرآن نهايته لا يصاحبه فيه أي فتور[33].

وقد وردت هذه المطالبة بالجهاد إلى رسوله في العهد المكي الذي كان يواجه فيه صلى الله عليه وسلم أعاصير وزلازل من المعارضات العنيفة والدؤوبة، التي لا قبل لأحد بالاستمرار فيها على بلاغ الآيات البينات إلا إذا استفرغ جهده وبذل غاية وسعه ولهذا جاء الإطلاق القرآني على هذا المجهود الشاق الذي يدأب الرسول في بذله "الجهاد الكبير".

وليس الأمر يتعلق بتلك الظروف المكية فقط، بل إن داعي الحق ربما يلاقي أنواعا من الشتائم والاستهزاء، والتشهير والسخرية في أي زمان ومكان، ولكن عليه أن يستفرغ وسعه في الصبر عليها مستمرا في الدعوة والتبليغ، ـ لقد كانت مقالة الأنبياء جميعا تجاه أذى قومهم ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: 12).

حتى وإن خلت الظروف من العسر والصعاب وسهلت الأوضاع فإنه رغم ذلك يستحيل علينا نشر رسالة القرآن وآياته البينات وسط جميع أمم الأرض وشعوبها الذين سيأتون إلى يوم القيامة بعدد مئات الملايين، وصولا بهم إلى مرحلة البلاغ المبين، وقيام الحجة القاطعة، ويستحيل علينا ذلك إلا إذا استفرغنا لذلك غاية وسعنا، وبذلنا في سبيله قصارى جهودنا. فإذا كان نوح عليه السلام، المرسل إلى قومه خاصة، احتاج لتقوم الحجة على قومه ويكتمل البلاغ إلى ألف إلا خمسين سنة من الدعوة المستمرة ليلا ونهارا. سرا وعلانية، فكيف بمحمد ﷺ - ثم أمته بتبعيته - المبعوث إلى ملايين البشر في كل بقاع المعمورة وإلى يوم القيامة، كيف به وبأمته إذا أرادوا تبيين الحق أمام كل كائن بشري أيا كان وفي أي زمان ومكان كان. أكيد، يحتاج إلى أعظم الجهود وأقصى المساعي والمحاولات. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 51-52)، (أي لو أردنا لخففنا عنك أعباء النبوة فبعثنا في كل أهل قرية نبيا ينذرهم ولكنا خصصناك بالبعثة إلى جميع أهل الأرض إجلالا لك

وتعظيما لشأنك (وكذلك رحمة بالبشرية) فقابل هذا الإجلال بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق، فلا تطع الكفار فيما يدعونك إليه من الكف عن آلهتهم، وجاهدهم بالقرآن جهادا كبيرا بالغا نهايته لا يصاحبه فتور) [34].

فالجهاد، إذا من منطوق الآية السابقة هو الدعوة نفسها، ومن هنا عرف الجرجاني الجهاد قائلا: "هو الدعاء إلى الدين الحق"[35]، وهذا المعنى هو ما أيده أحدث معجم تحليلي لألفاظ القرآن الكريم قائلا: "وأكثر ما ورد الجهاد في القرآن الكريم ورد مرادا به بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها"[36].

ب- النوع الثاني: يتعلق بالشخص المدعو

وثمة نوع آخر من الجهاد يرتبط بصلة وثيقة بالدعوة، وذلك ما يتعلق بالشخص المدعو حين ينشرح قلبه للإيمان فيأخذ قراره الحاسم لقبول الحق فإنه يواجه مواقف تتطلب منه استفراغ جهده لمواجهتهما، **فأبواه** ربما جاهداه لإبقائه على الشرك والإلحاد، لكن عليه استفراغ وسعه لمواجهة هذا الموقف ومواصلة سيره إلى الحق. **وأيضا البيئة** التي يعيش وسطها ربما أنزلت به أنواعا من التعذيب والتنكيل ولكن عليه أن لا يقطع المسير قبل بلوغ غايته، أو ربما يفرض قبوله للحق فقدان المكانة والعزة اللتين تكونتا له في أيام حياته الماضية، ولكنه يبذل وسعه لمواجهة هذه الظروف

أي أن المدعو حين يتحمل كافة أنواع المعاناة الجسدية والروحية، المادية والمعنوية في سبيل قبوله الحق فإنه يجاهد أيما جهاد، حتى إذا تذللت له هذه الصعوبات التي تعترض أول طريقه وأراد أن يظل مستقيما على الحق فإنه يضطر أيضا لأن يستفرغ وسعه لمكافحة هواه ونزوات نفسه وشهواتها، والحيلولة بينه وبين الانقياد لها، كما يضطر إلى الصبر على المعاناة التي قد تفرض عليه ظروفه الزمانية والمكانية، وهو في كل هذا يجاهد أيما جهاد. وهذا النوع من الجهاد يشير إليه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: 5-7).

ج- النوع الثالث: يتعلق بقتال العدو

غير أن ثمة نوعا ثالثا من الجهاد يتصل بالدعوة اتصالا مؤقتا لضرورة مؤقتة تتطلب من المؤمنين أن يبلغوا في استفراغ وسعهم وجهدهم إلى مستوى بذل الأرواح والأنفس وهذا النمط من الجهاد سماه الله "قتالا".

وقبل أن أتناول طبيعة هذا الجهاد وسياقه الظرفي من الواجب الإشارة حتى لا يساء الفهم إلى أننا لسنا بصدد الحديث عن القتال الدفاعي الذي يتوجب على المسلمين إذا ما هوجمت أوطانهم من قبل الأعداء، فثمة إجماع بين فقهاء الأمة وعلمائها على وجوب مثل هذا القتال إذا توفرت له شروطه ومستلزماته، وإنما الذي نحن بصدده هو ذلك الذي سمي جهادا في أحد إطلاقاته وهو جهاد يتصل بالدعوة اتصالا عرضيا يساعدها في ظروف خاصة، ولكنه يتوقف بعد تحقيق الغاية التي ينشب من أجله.

2- الدعوة في الاستعمال القرآني: وردت مادة (د.ع.و) في القرآن الكريم في أكثر من مائتي موضع، يتعلق نصفها بموضوع الدعوة المقصود في سياق هذه المقاربة[37]، ويتعلق في أغلبها بمدلوله اللغوي الأصلي وهو طلب الأمر والحث عليه[38].

وذلك ما أشار إليه ابن منظور عند استقرائه لآيات الدعوة، إذ تدور على معنيين:

المعنى الأول (الدعوة إلى بيعة هدى) نجد الآيات الآتية: قول تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: 108). وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا

أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ (الرعد: 36). وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125). وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ (الأعراف: 193). وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: 25). وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (آل عمران: 104). وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (الحج: 67). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ (الصف: 61).

المعنى الثاني (الدعوة إلى ضلالة) نجد الآيات الآتية: قول تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: 221). وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (القصص: 41). وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان: 21). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: 6).

وبتدبر السياقات القرآنية السابقة نلمح أن المضمون الدعوي فيما إذا كان (بيعة هدى) أم (بيعة ضلالة) نجد له توضيحا في مجرور (إلى) في كلا النمطين من الآيات. وقد يتحدد هذا المضمون نظرا إلى السياق وحالة القائل، فإذا كان من الرسل والصالحين فإنّ المضمون الدعوى سيكون حتما (بيعة هدى) وعلى عكس ذلك، فإن وروده على لسان إبليس أو أحد من حزبه سيعني حتما دعوة إلى ضلالة.

وهذا يقودنا إلى القول أن مصطلح الدعوة ليس من الضرورة بمكان أن يرد مقرونا بما يدعى إليه، فيقال مثلا: (الدعوة إلى الله) أو (الدعوة إلى الإسلام) بل يكفي وروده في سياق أو محيط محدد ليكون دالا على مضمون محدد. فإذا أطلقت (الدعوة) في المحيط الإسلامي فإنها ستعني بداهة الدعوة إلى بيعة هدى. على هذا الأساس يمكن القول بأن مصطلح **(الدعوة)** الذي نتناوله اليوم في محيطنا الإسلامي، المقصود به الدعوة إلى بيعة هدى سواء أوردت لفظة الدعوة مجردة أم مقرونة بما يدعى إليه.

أما ما الذي تعنيه الدعوة إلى بيعة هدى؟ فإن توضيح ذلك بدقة يحتاج إلى شيء من التمعن والتبيين. وفي هذا الإطار لو رجعنا إلى النصوص القرآنية فإننا نخلص منها إلى أن الدعوة وردت في سياقات عدة واستعمالات مختلفة متقاربة المعنى وذلك كالآتي: **الدعوة إلى الله. والدعوة إلى الهدى. والدعوة إلى دار السلام. والدعوة إلى الإيمان بالله. والدعوة إلى الجنة والمغفرة. والدعوة إلى سبيل الله. والدعوة إلى النجاة. والدعوة إلى الخير. والدعوة إلى صراط مستقيم**. وإذا رتبنا ما ورد في هذه الآيات فإننا نجدها تتوزع على ثلاثة محاور:

1 ـ **الدعوة إلى النجاة في الآخرة،** وتدل عليها ألفاظ كل من: دار السلام[39]؛ الجنة والمغفرة؛ النجاة.

2 ـ **الدعوة إلى دين الله والإسلام** وتشير إليه ألفاظ كل من: الصراط المستقيم[40]؛ سبيل الرب[41]؛ الهدى والخير[42].

3 ـ **الدعوة إلى الله،** ويشير إليه كل من: الإيمان بالرب؛ الدعوة إلى الله.

وعلى ضوء هذه المحاور الثلاثة لو أردنا تحديد دلالة مصطلح الدعوة فإنه يعبر عنه: (الدعوة تعني: **دعوة الناس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، وبمقتضيات هذا الإيمان بقصد النجاة في الآخرة)**[43].

حوصلة:

بعد هذا الاستعراض السياقي لدلالات الجهاد والدعوة في الاستعمال القرآني، يزول اللبس الحادث عن التصور المتداول للمصطلحين، وتتجلى المساحة الحقيقية لكل مفهوم كما عبرت عنه السياقات القرآنية؛

فالجهاد بمختلف صيغه واشتقاقاته لا يمثل سوى خمس المساحة القرآنية المخصصة لمادة الدعوة بمدلولها العام (41 مقابل 207) وحتى في المدلول الخاص تبقى النسب متفاوتة: (35 مقابل 205).

وحتى بالعودة للمعاني القرآنية لمصطلح الجهاد نجد ثلثيها تؤول على مفهوميات دعوية (جهاد الدعوة وجهاد النفس) ويبقى الثلث الأضيق (قتال العدو) استثناء لا يجوز اللجوء إليه إلا للمدافعة والتأمين، وحتى القتال بمعناه العسكري محاط في الإسلام بواجبات دعوية قبل وبعد المواجهة إن تم الاضطرار إليها، وسيزداد ذلك وضوحا في الجزئية اللاحقة.

رابعا: الجهاد بين "الدعوة إلى الدين" و "إظهار الدين"

في سياق بيان المقاصد القرآنية المقررة للجهاد والدعوة، وفي ظل البناء المفهومي السابق لغويا واصطلاحيا وقرآنيا، يستوقفنا التعبير القرآني الذي يربط الجهاد والدعوة بغايتيهما: جهاد ودعوة إلى الدين الحق، وجهاد ودعوة لإظهار الدين الحق. وذلك ما سيفصله البيان التالي، عبر ثلاث مستويات تحليلية؛ بدء بتأسيس مفهومي للتعبيرين القرآنيين "الدعوة إلى الدين" و"إظهار الدين"، ثم تأصيل تاريخي لتجسد التعبيرين في التجارب النبوية منذ آدم -عليه السلام- وختاما بإسقاط دعوي خاص على الدعوة النبوية الخاتمة، عبر جهاد ودعوة محمد ﷺ.

1- تأسيس مفهومي: الدعوة إلى الدين تعني ببساطة بلاغ رسالة الله شفاها إلى المدعوين وصولا بهم إلى مرحلة البلاغ المبين التي تنقطع عنها الحجة، وذلك بغض النظر عما إذا كان الداعي يؤمن به أحد أو لا يؤمن به أحد، أو عما إذا كانت أديان الشرك و الوثنية تظل على غلبتها في الأرض أو يصبح التوحيد هو الغالب والظاهر على الأديان كلها.

فالدعوة إلى الدين إذا لا تستلزم إظهار الدين وأن المكلف بها ينجز مهمته كاملة حين يبلغ رسالة الله شفاها وإن لم يظهر دين الله بدعوته على الدين كله، بينما "إظهار الدين" يقتضي جعل دين الله ظاهرا وغالبا على الدين كله رغم أنوف الجاحدين والمعارضين، وفي هذا ورد قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33)، وهذا يعني أن المكلف بإظهار الدين لا ينتهي من مهمته بمجرد بلاغ الناس رسالة الله بلاغا شفهيا بل ينبغي عليه سلوك كل تلك المسالك التي تؤدي إلى غلبة دين الله وإظهاره على الدين كله رغم أنوف المعارضين والكارهين. وحتى يتضح الفرق بين الدعوة إلى الدين وإظهار الدين لا بد لنا من الوقوف ولو يسيرا مع تاريخ التوحيد في القديم(44).

2- تأصيل تاريخي: فآدم أبو البشر الذي هبط من الجنة إلى أرض الاختبار، كان قد هبط وهو يحمل بين جنباته هدى الله الذي منبعه التوحيد الذي تمسك به وأمر أبناءه وبناته بالدأب عليه، فكانت الأجيال الأولى من أولاد آدم وأحفاده أمة واحدة قوام بالدين التوحيد ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: 213).

ولكن كلما كان يطول الأمد بين آدم وأحفاده كانت الشقة تتسع بينهم وبين التوحيد إلى أن نسوه نسيانا، فاختلفوا وشرعوا يعبدون مظاهر الطبيعة على أنها آلهة و أرباب من دون الله، فبعث الله النبيين يذكرونهم بالتوحيد ويدعونهم إلى اعتناقه، مبشرين لهم بالجنة إذا آمنوا ومنذرين لهم من عذاب النار إذا كفروا، غير أن الشرك كان قد أحاط بالنفوس وضرب بجذوره في كل زوايا التجمعات البشرية حتى صار الوجود البشري كله توزعه تكتلات شركية والتي تمثلت في البيئات التي تكونت بروافد شركية وفي الحكومات التي اتخذت المعتقدات الشركية أساسها من بعد أن أيقن ساستها أن الشعب تتغلغل فيهم نزعات شركية مما جعلهم يتأكدون بأنهم لو أرادوا لملكهم الديمومة والتواصل فما عليهم إلا إطلاق دعوة الألوهية والربوبية فتصبح الشعوب

يقدسونهم ويخرون لهم سجدا، فقال فرعون لشعبه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (انازعات: 24)، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص: 38)، كذلك فعل نمرود ملك بابل بل جميع الملوك في القديم، وكان آخرهم عهدا هيروهيتو أمبراطور اليابان وكان الناس فعلا يصدقونهم ويتخذونهم آلهة ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (هود: 59).

في مثل هذا الجو المفعم بالشرك والمتشرب بالوثنية حين كان يأتي الأنبياء بدعوة التوحيد فإن الناس كانوا يتخذونهم هزوا وسخرية ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس: 30)، وإن كانوا فيهم قبل هذا رجالا مرجويين ﴿قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (هود: 62)، وكان الأنبياء يتعرضون لأنواع من التعذيب ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 68)، والتنكيل والتقتيل ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة: 61)، إما من قبل البيئات الطافحة بالشرك[45]، وإما من قبل الحكومات التي كانت ترى في دعوة التوحيد تضعضعا لأركانها لأنها تأسست على معتقدات شركية فما كان يؤمن الأنبياء إلا أناس قليلون فقد كان عدد المؤمنين بنوح عليه السلام وهو أول النبيين إلى البشرية الضالة لا يتجاوز السبعة الذين ركبوا في السفينة (انظر الكتاب المقدس، تكوين 7:13)، ونرى إبراهيم أبا الأنبياء يغادر وطنه وما آمن به إلا زوجته سارة وابن أخيه لوط ثم ابناه إسماعيل وإسحاق، أما المسيح آخر أنبياء بني إسرائيل فهو وإن كان ظفر ببعض المؤمنين به إلا أنهم تراجعوا عنه في آخر اللحظات (انظر الكتاب المقدس: متى:26: 56) وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: "عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط (تصغير الرهط وهي الجماعة دون العشرة) والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد .."[46].

ثم إن هذا النفر القليلون غالبا كانوا ينصهرون في بوتقة الشرك بعد وفاة نبيهم بمدة يسيرة، أما الكتب التي كانت تنزل على الأنبياء فما قدرت على الصمود على أصالتها بل إن حملتها كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه ليتوافق مع نزواتهم وشركهم وجدير بالملاحظة هنا بأن الله لم يتكفل بحفظ الكتب السماوية القديمة بل ألقى مسؤولية حفظها على عاتق حملتها ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: 41)، وذلك لاختبارهم هل هم يتعهدون بحفظها أم يحرفون الكلم عن مواضعها. وبما أن سلسلة إرسال الأنبياء لم تكن قد قطعت بعد فلم تكن هناك أية مشكلة إذا ما حرفت الكتب أو نسي حظ منها، لأن الأنبياء سيأتون تباعا لتجديد الدعوة إليها.

إلى هذا ـ أي تواصل رسالة السماء إلى الأرض ـ يرجع أن الأنبياء في السابق كلفوا فقط بتبليغ الرسالة، فكانت مهمتهم تنتهي عند البلاغ المبين ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (العنكبوت: 18)، ولم يؤمر أي منهم بإظهار دين الله على الدين كله ليبقى غالبا مستحكما إلى يوم القيامة[47].

3- إسقاط دعوي: ولكن محمدا ﷺ بما أنه آخر الأنبياء الذي به ينقطع وحي السماء، لذا ستكون هناك معضلة مستعصية إذا ما توفي هذا النبي بمجرد البلاغ والدعوة إلى الدين سواء آمن به أحد أو لم يؤمن، وسواء أبقي الشرك على سطوته العالمية يمحو التوحيد من بعد وفاة النبي أم كان غير ذلك، إذ أن التوحيد لو غمره الشرك من بعد هذا النبي فانمحى من وجه الأرض فإنه لن يأتي نبي آخر لانتشاله واستئناف الدعوة إليه حسب وعد إلهي ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ﴾ (الأحزاب: 40)،

فتبقى البشرية إلى يوم القيامة في متاهات الظلال والضياع، ومن هنا كانت الحاجة ملحة أن يصبح دين الله ظاهرا مستحكما مع ختم النبوة بحيث لا يضيع بعده إلى قيام الساعة.

من هنا قضت حكمة الله أن تقرن إلى النبي الخاتم مهمة إضافية إلى مهمته النبوية الأصلية المشتركة ـ البلاغ وإقامة الحجة ـ وتلك المهمة هي إظهار دين الله على الأديان كلها، الذي يعني إيصاله إلى مرحلة الثورة الفكرية العالمية بحيث تزول بعدها أية خشية من ضياعه أو درجه إلى مسالك التحريف، فقال تعالى له ولم يقل لنبي آخر مثله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33)، وعبر عن الأمر نفسه في نبوءة توراتية عن رسول الله ﷺ بالقول: "لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا و آذانا صما وقلوبا غلفا"[48].

أما المحجة إلى تحقق هذا الأمر هو أن يبلغ عدد الداخلين في الإسلام من الكثرة الكاثرة بمكان بحيث تصبح قوة الشرك في يأس من أمر دينهم لن تكون بمقدورها أبدا أن تقهر التوحيد وتمسحه من الوجود.[49]

غير أن هذا الطريق كان مسدودا إذ أن الناس في موطن بعثة النبي الخاتم ﷺ وضواحيه، بل في كل المعمورة كانوا حينئذ مقهورين للبقاء على دين الشرك من غير أن يكون لأحد وسع ولا طاقة لاعتناق دين التوحيد، فإذا تجاسر أحد لنبذ الشرك وقبول التوحيد فإنه حتما كان يلاقي أنواعا من العنت وألوانا من التعذيب التي لا طاقة لأحد عليها إلا من كان له صبر ورابطة جأش مثل الحديد، وفي ظلمة تلك المعاناة القاسية إذا كان واحدهم يريد الفرار بدينه إلى حيث يأمل شيئا من القرار والحرية، فإن المشركين كانوا يمنعونه ويجبرونه على البقاء بينهم ليفتنوه ويعذبوه ويردوه إلى دين الشرك إن استطاعوا.

يقول ابن إسحاق تصويرا لتلك المعاناة البالغة في الشدة والقسوة: "... فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يصلب لهم.. "[50]، وفي حالة ما إذا تمكن بعضهم من الفرار من قبضتهم فإنهم كانوا يلاحقونه في مهجره لإرجاعه إليهم يرجعونه ويعطشونه حتى يقولوا له اللات والعزى إلهك من دون الله[51]، حتى أن النبي نفسه قد مورس عليه أنواع من الضغوط والأذى وبوسائل مختلفة متفاوتة حتى يمتنع عن الدعوة، إلى أن أخرجوه أخيرا من موطنه ومسقط رأسه ثم لاحقوه في مهجره ليصدوه من مواصلة مهمته.

في مثل هذا الجو القاهر والبيئة غير الديمقراطية في مسألة التدين إن لم يكن محمد رسول الله ﷺ آخر الأنبياء وخاتم المرسلين لكان قد اكتفى بالبلاغ والصبر على كافة أنواع العدوان عليه وعلى أتباعه منتظرا ميعاد اكتمال الحجة، ولكان الله أنقذه هو وأتباعه من قبضة الشرك واضطهاده بإهلاك الكفرة والمنكرين بقلب الأرض أو بريح صرصر عاتية أو بأي نوع من العذاب، ولكنه خاتم النبيين لا نبي بعده، فلا بد ـ قبل وفاته ـ من أن يظهر دين الله بواسطته بالإضافة إلى تبليغه وإقامة الحجة به[52].

ومن هنا أذن الله له ولأصحابه بعد أن تكون لهم كيان خاص ومركز مستقل أن يدفعوا عن التوحيد هجمات الشرك بالقتال، وأن ينهوا بجهاد مستميت تلك البيئة القاهرة التي تسلب من الناس حرية التفكير والعقيدة ليكون الناس بعد ذلك أحرارا في اعتناق أي دين يريدون أو التمسك بأي دين يرغبون كل ذلك بمحض مشيئتهم ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: 29)، وعندما يصبح الجو على هذا القدر من الحرية والتسامح فإن دين الله التوحيد يجد طريقه إلى الظهور عبر اختراقه ملايين القلوب وحشده أكبر قدر من الناس على عاتقه.

هكذا أمر الله رسوله والمؤمنين بالقتال دفعا للناس بعضهم ببعض حتى يكونوا متسامحين تجاه المعتقدات وما تنبني عليها من الطقوس والعبادات، فلا عدوان ولا تعصب لطرف ضد طرف ولا جبر ولا إكراه في مسألة الدين، وفي هذا يقول تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 39-40). ويقول تعالى في آية أخرى تحديدا لغاية مثل هذا القتال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 193)، أي قاتلوهم حتى ينتهي الشرك القاهر المعتدي على التوحيد إن المفسرين القدامى في أغلبهم وإن كانوا فسروا الفتنة بالشرك، إلا أنهم كانوا يقصدون به تلك النوعية الخاصة من الشرك الذي كان جاثما على مكة وأطرافها، وهو الذي لا ينحصر في كونه عقيدة شخصية فحسب وإنما معتدية على العقائد الأخرى.

أما الشرك الذي لا يمثل إلا عقيدة شخصية غير معتدية فإن المؤمنين لم يؤمروا بقتاله بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8)، وتصبح البيئة متسامحة يتمكن فيها المرء من تحديد علاقته مع ربه بإرادته الحرة دونما خوف من أي طرف بشري ولا جبر من قبل بيئة معينة هذا هو معنى "ويكون الدين لله" أي تصبح مسألة الدين مسألة بين الله وعبده يحدده بمحض إرادته إيمانا أو كفرا دون أي ضغوط من أي طرف بشري، وليس معناه أن يصير الناس جميعا موحدين أو كما يقول سيد قطب أن تصبح أنظمة العالم كله تفرد الله بالألوهية والربوبية فيفرده بالسلطان والطاعة. فهذا قول يتعارض مع سنن الله الكونية التي تمنح الناس حرية الكفر والإيمان شعوبا وحكومات، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ويتعارض كذلك مع نصوص القرآن والسنة ومواقف الرسول والصحابة، باستثناء مشركي مكة وأطرافها الذين استحقوا عذاب الله بعد إقامة الحجة عليهم طيلة ثلاثة عشر سنة، تلك هي سنة الله مع الذين يرفضون الأنبياء ويؤذونهم فيبدأ بعقابهم في الدنيا قبل الآخرة، غير أن الله لم يجعل عذابهم آفة السماء بل قرر أن يكون عذابهم بسيوف المسلمين أو يسلمون ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 14)، ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ (الفتح: 16)[53] .

إلى هذا يرجع كل ما خاضه النبي وصحابته من القتال ضد أعداء الدين وإن كنا نلاحظ أن النبي ﷺ لم يكن يلجأ إليه إلا في حالة الاضطرار محاولا جعل الأعداء ملتزمين بمبدأ التسامح سلما قبل أن يجبروا عليه حربا، وكان رسول الله ﷺ يعرب عن رغبته هذه قائلا: "ما ذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وإن لم يفعلوا وقاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة"[54].

وقد استطاع النبي بتوفيق من عند الله وهدايته أن يلزم المشركين بمبدأ التسامح سلما وذلك حين أصر صلى الله عليه وسلم على قبول مشروع الصلح الذي تقدم به المشركون في موقعة الحديبية، وقد كانوا يقرون في أحد بنوده بمبدأ التسامح الديني، وهذا البند هو: "من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه"[55]، فقد رأى رسول الله ﷺ في هذا البند انتهاء للفتنة في حدود الجزيرة العربية على الأقل، وعندما تنتهي الفتنة يجد دين الله طريقه إلى القلوب في جو ديني متسامح فيدخل الناس في دين الله أفواجا فيظهر دين الله على الأديان كلها.

وقد حدث ذلك، ولذا سمى الله هذا العهد ﴿فتحا مبينا﴾ (الفتح: 1)، فقد كان عدد المسلمين وقت الصلح، وبعد سبع عشرة سنة من بدء الدعوة، ألفا وأربعمائة شخص[56]، بينما بلغ عددهم بعد سنتين فقط من إعلان الصلح عشرة آلاف نفر حين فتح مكة. ومع فتحها تحطمت قوة الشرك القاهرة في الجزيرة العربية، فأصبح الناس في أطرافها في مأمن من أذى قريش ونظرائهم من المشركين إذ قبلوا التوحيد ودخلوا دين الله أفواجا، وظهر بذلك دين الله الذي كان ينبغي أن يظهر مع ختم النبوة، فأصبح التوحيد في مأمن من أن تقدر قوة الشرك والكفر على أن تزيله من الوجود وتمحوا آثاره أو تلحق بنصوصه تحريفات بشرية، فقد يئس دين الشرك من أن يغمر دين التوحيد ويزلزل أركانه.

وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾ (المائدة: 3). يقول أبو البركات النسفي في تفسير هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يئسوا منه أن يبطلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه، لأن الله وفى بوعده من إظهاره على الدين كله ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار، وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا غالبين ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ أي أخلصوا لي الخشية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بأن كفيتكم خوف عدوكم، وأظهرتكم عليهم، كما يقول الملوك "اليوم كمل لنا الملك، أي كفينا من كنا نخافه"[57]. نعم لقد زالت الفتنة بفضل جهاد النبي وصحابته وأتباعهم، الذين لم يكتفوا بإنجاز هذه المهمة في حدود الجزيرة العربية فقط بل إنهم تغلغلوا في الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية إمعانا في إزالة فتنة القهر الديني وتأكيدا على إظهار دين الله، حتى تزول المخاوف من قبل القوى الشركية عن آخرها.

لقد انقلب الشرك مغلوبا بعد أن كان غالبا وأصبح دين الله ظاهرا محفوظا بصورة القرآن الذي حفظه الله بواسطة أولئك الجم الغفير الذين احتشدوا على ظهر دينه يذودون عنه كيد الكائدين، إلى أن دخل التاريخ العصر الحديث الذي طبع فيه القرآن بمطابع حديثة بعدد ملايين النسخ انتشرت إلى ربوع العالم من أقصاه إلى أقصاه فزالت خشية زوال دين الله والتحريف فيه إلى الأبد.

هذا هو معنى مصطلح "إظهار الدين" على الدين كله رغم أنف الكارهين والمعاندين، وقد رأينا أن هذا المصطلح يحمل دلالة خاصة حمل به محمد ﷺ كمهمة إضافية اقتضتها مسألة ختم النبوة وانقطاع وحي السماء فهذا المصطلح في دلالته ومضمونه يختلف عن مصطلح "الدعوة إلى الدين" التي ظلت المهمة الأصلية للأنبياء جميعا.

وإذا عدنا بعد هذا البيان المتعلق بمصطلحي "الدعوة إلى الدين" و "إظهار الدين"، إلى مصطلح الجهاد بمعناه الثالث أي القتال، فإننا لا نواجه صعوبة في إدراك دلالته وتقارب ماهيته من حقيقة الدعوة والبلاغ. **فهو قتال ينشب من أجل إفساح المجال أمام ظهور الدين** عن طريق إزالة العراقيل التي تعيق سبيل دخول الناس في دين الله أفواجا، وعندما تنزاح تلك العراقيل تجد الدعوة سبيلها للتحرك والانفعال. فالرابطة إذن وثيقة بين الدعوة وبين هذا النوع من الجهاد أيضا.

خاتمــة:

إنّ منطلق التعامل مع مصطلحي الجهاد والدعوة في دلالتهما في أغلب أدبيات الفكر الإسلامي، بعيدا عن نصوص الوحي من جهة، لذا تحيزت الكثير من الكتابات إلى الميولات النفسية والتأثيرات السياسية والواقع التاريخي، ولذا كانت هذه الدراسة محاولة لتتبع كلا المصطلحين بالتحليل والتأصيل لمدلولهما في نصوص الوحي. مما أتاح لنا الوصول إلى بعض الخلاصات والاستنتاجات والتوصيات التي نجملها فيما يلي:

- إنّ الجهاد بأنواعه الثلاثة في الخطاب القرآني وطيد الصلة بنشر كلمة التوحيد، فمنه ما يرادف مصطلح "الدعوة" مرادفة تامة في جميع الاعتبارات والحيثيات، وهو الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: 52)، ومنه ما لا يرادفها ولكن يرافقها في حلها وترحالها وهو الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ (العنكبوت: 6)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69)، ومن الجهاد ما لا يرادف الدعوة و لا يرافقها في كل أطوارها بل يساعدها في بعض مراحلها وهو الذي ورد بلفظة القتال في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 193).
- إنّ معنى مصطلح "إظهار الدين" على الدين كله يحمل دلالة خاصة ومهمة إضافية اقتضتها مسألة ختم النبوة وانقطاع وحي السماء فهذا المصطلح في دلالته ومضمونه يختلف عن مصطلح "الدعوة إلى الدين" التي ظلت المهمة الأصلية للأنبياء جميعا، والدعاة من بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- إنّ القتال الدفاعي الذي يتوجب على المسلمين إذا ما هوجمت أوطانهم واعتدي عليها وعلى حرماتها، فإنه ليس محل خلاف بشأنه، فثمة إجماع بين فقهاء الأمة وعلمائها على وجوب مثل هذا القتال لتحرير الأوطان من المستعمر الغاشم إذا توفرت له شروطه ومستلزماته، وهو شأن جميع الشعوب الحرة على اختلاف مللها ونحلها قديما وحديثا.
- إنّ الشرك الذي لا يمثل إلا عقيدة شخصية غير معتدية فإن المؤمنين لم يؤمروا بقتالهم بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8)، وهذا لأجل تحقيق مقصد عظيم وهو أن تصبح البيئة الاجتماعية والسياسية متسامحة يتمكن فيها المرء من تحديد علاقته مع ربه بإرادته الحرة دونما خوف أو وجل من أي طرف أو جهة معينة.
- نحن أمة متخلفة على كل صعيد وفي كل منحى، ومن هنا صار الجهاد الأكبر واجبا مقدسا يتمثل في بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة العلم بأشكاله، وكذلك العمل على تقوية الاقتصاد ليتحرر من التبعية، وهما السبيل إلى تحرير الأمة من التخلف والتبعية، وبناء المجتمع وتطويره.
- السعي الحثيث نحو كبت شهوات الشر الكامنة في أعماق النفس البشرية، ليصبح مجتمعا راقيا هادئا مسالما ينسجم مع الإسلام بما وضعه من أسس الأمن والمحبة والسلام بين بني البشر. ويصير سيدا للحضارة وللآلة العلمية رفيقا لها، متفاعلا مع ما حوله بما هو عليه من القيم والأفكار.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط4، 1987م.
2- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1987م.
3- ابن كثير تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1987م.
4- ابن منظور ت711هـ، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1992/2م.
5- ابن هشام ت212هـ، السيرة النبوية، المكتبة العلمية بيروت، د.ت.
6- أبو البركات النسفي ت710هـ، تفسير النسفي، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
7- أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1419هـ/1998م.
8- أبو السعود العمادي ت 951هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت.
9- أحمد حماني، الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ط.ت.
10- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1429هـ/2008م.

11- أسعد السحمراني، البهائية والقاديانية، بيروت دار النفائس، ط1/1987م.
12- إسماعيل أبي نصر بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1407هـ/ 1987م.
13- حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب -مصر-، ط1(2003م/2008م).
14- حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، دار إشبيليا، الرياض، ط2، 1997م.
15- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار المعرفة بيروت، (د.ط.ت).
16- الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1985م.
17- الزمخشري الخوارزمي ت538، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار المعرفة بيروت، د.ط.ت.
18- زين الدين محمد، التوقيف على مهمات التعريف، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط1(1410هـ/1990م).
19- سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، مكتبة وهبة، د.ت.
20- سيد محمد سيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الطبعة الأولى/1986م.
21- الطبري ت310هـ، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المعارف مصر، د.ت.
22- الطيب برغوث، الخطاب الإسلامي المعاصر وموقف المسلمين منه، سلسلة مفاتيح الدعوة-10، دار الامتياز، وادي زناتي، قالمة، ط1، 1990م.
23- الطيب برغوث، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، الطبعة الأولى، 1996م.
24- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د.ت.
25- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم، بيروت/دمشق، د.ت.
26- عبد الله سلوم السامرائي، القاديانية والاستعمار الإنجليزي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (بغداد)؛ 271، بغداد : وزارة الثقافة والإعلام، 1981م.
27- العسقلاني ت852هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الديان للتراث القاهرة، ط2/1988م.
28- علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، بيروت دار الكتاب العربي، ط2/1982م.
29- علي الشعيبي، الإسلام والجهاد، مكتب الشعيبي الرقة سوريا، ط1/2006.
30- علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1403ه/1983م).
31- فتحي يكن، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، مؤسسة الرسالة بيروت لبان، ط16، د.ت.
32- الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج1.
33- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط/1996م.
34- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1959م.
35- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2000.
36- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط3/1987، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
37- محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1993م.
38- محمد شمس الحق الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1/2001م.
39- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن بيروت، ط/1981م.
40- محمد عمارة، حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب، مجلة حراء، تركيا، العدد الأول، 2005م.
41- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1420هـ.
42- محمد نوح، منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبيه التربوي والدعوي، دار السلام القاهرة، ط 1، 2011م.

43- محمد يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1310هـ.
44- محمود محمد حمودة، محمد مطلق عساف، فقه الدعوة و أساليبها، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، 2000م.
45- مصطفى مسلم وآخرون، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، ط1، 1440هـ/2019م.
46- وهبة الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، ط1981/3م.
47- يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، دار القلم دمشق ، ط1987/5م.

الهوامش:

[1]- انظر وهبة الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص112، دار الفكر، ط1981/3م.
[2]- كما هو شأن الفرقة القاديانية: انظر أسعد السحمراني: البهائية والقاديانية، ص144، بيروت دار النفائس، ط1987/1م. وعبد الله سلوم السامرائي، القاديانية والاستعمار الإنجليزي، ص195-196. راجع أيضا: الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية، للشيخ أحمد حماني، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د. ط. ت.
[3]- ويصدق ذلك على الذين يحصرون الجهاد في القتال فقط، انظر علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج7، ص97، بيروت دار الكتاب العربي، ط1982/2م.
[4]- انظر: محمد شمس الحق الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط2001/1م، ص72.
[5]- محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1993م، ص 43.
[6]- انظر ابن منظور: لسان العرب، مج2، ص397.
[7]- المصدر السابق، مج2، ص396.
[8]- المصدر السابق، مج2، ص396.
[9] - انظر محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، صفوة التفاسير، دار القرآن بيروت، ط1981/م، مج2، ص453.
[10]- المرجع السابق، مج2، ص396.
[11]- إسماعيل أبي نصر بن حماد الجوهري، الصحاح، ص207.
[12]- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ط)، (1416ه/1996م)، ج2/ص401-402.
[13]- محمد يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1310ه، ص104.
[14]- الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص194.
[15]- انظر: لسان العرب لابن منظور، ج4، ص361.
[16]- زين الدين محمد، التوقيف على مهمات التعريف، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط1(1410ه/1990م)، ص133.
[17]- حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ط1(2003م/2008م)، ج1/ص344.
[18]- علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1403ه/1983م)، ص80.
[19]- محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1993م، ص 42.
[20]- مصطفى مسلم وآخرون، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، ط1، 1440هـ/2019م، مجلد11، ص202.

[21]- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1987، مجلد5، ص182.

[22]- أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1419هـ/1998م، ص354.

[23]- محمد عمارة، حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب، مجلة حراء، تركيا، العدد الأول، 2005م.

[24]- انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ج1، ص16. وينظر: محمود محمد حمودة، محمد مطلق عساف، فقه الدعوة وأساليبها، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، 2000م، ص11.

[25]- حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، دار إشبيليا، الرياض، ط2، 1997م، ص23-24.

[26]- انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص14-19، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1959م.

[27] محمد نوح، منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبيه التربوي والدعوي، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى 2011م، ص 23-25.

[28]- فتحي يكن، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، مؤسسة الرسالة بيروت لبان، ط16، ص 39.

[29]- راجع: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص14-22.

[30]- سيد محمد سيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1، 1986م، ص 45.

[31]- انظر: الطيب برغوث، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، الطبعة الأولى، 1996م، ص67. ويعد الطيب برغوث من أقدم من أشار إلى تعريف الدعوة في كتاباته الأولى، منها كتاب الخطاب الإسلامي المعاصر وموقف المسلمين منه، سلسلة مفاتيح الدعوة-10، دار الامتياز، وادي زناتي، قالمة، ط1، 1990م، ص11.

[32]- مصطفى مسلم وآخرون، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، ط1، 1440هـ/2019م، 203/11.

[33]- انظر محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص366. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص354.

[34]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص 366؛ وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء 3، ص 354.

[35]- أبو الحسن الجرجاني، التعريفات، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1987م، ص112.

[36]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص114، دار الشروق، ط1981م.

[37]- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1420هـ، ص257-260.

[38]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1429هـ/2008م، 747/1. يراجع: مصطفى مسلم وآخرون، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، 368/14-

[39]- وهي الجنة. وانظر: تفسير أبي السعود، ج4 ص137، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط (د.ت).

[40]- أي "دين الإسلام " انظر: تفسير الخازن: مج3، ص308، بيروت، دار المعرفة، (د.ط.ت).

[41]- وهو "الإسلام الذي عبر تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة إبراهيم" انظر: تفسير أبي السعود، ج5، ص149.

[42]- الخير كناية عن الإسلام، انظر: تفسير الخازن، مج1، ص268.

[43]- يراجع تفصيل ذلك في مقالي المنشور بمجلة الإحياء: عبد الباسط دردور، مصطلح الدعوة بين التأسيس القرآني والتناول الفكر ي، بمجلة الإحياء، جامعة باتنة1، مجلد 21، عدد 29، أكتوبر 2021م، ص 342-343.

[44]- محمد شمس الحق، مرجع، سابق، ص76.

[45]- انظر الآية 68 من سورة الأنبياء التي تشير إلى ما فعلته البيئات ضد الأنبياء والرسل.

[46]- أخرجه مسلم عن ابن عباس في كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب " مختصر صحيح مسلم، رقم الحديث: 101، ص36.

[47]- محمد شمس الحق، مرجع سابق، ص79.

[48]- أخرجه البخاري في:65، كتاب التفسير48، سورة الفتح 31 - باب إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، رقم الحديث: 4838، ج8، ص449، من فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

[49]- محمد شمس الحق، مرجع سابق، ص 80.
[50]- ابن هشام، السيرة النبوية، بيروت، المكتبة العلمية، ج1، ص317.
[51]- المصدر السابق، ج1، ص320.
[52]- محمد شمس الحق، مرجع سابق، ص 81.
[53]- انظر: سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، ص173، مكتبة وهبة. انظر: د. علي الشعيبي، الإسلام والجهاد، مكتب الشعيبي الرقة سوريا، ط2006/1، ص: 45-54.
[54]- ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص309.
[55]- ابن هشام، مصدر سابق، ج3، ص 317 - 318.
[56]- انظر ابن هشام: السيرة النبوي، ج3، ص309.
[57]- أبو البركات النسفي، ج1، ص270، انظر كذلك: تفسير الخازن، مج434،1-435. تفسير الطبري، ج9، ص521-522، دار المعارف مصر، تفسير أبو السعود، ج3، ص6-7.